وانحصرت الأضواء عنك

لم تعد ما تحيا عليه محسوباً على زمنك !!

بعد أن تخلى كل الناس عنك !! فلم يعد يسأل عنك أحد، حتى الوجوه التى كنت تخالطها وتشرق البسمة العريضة على محياهم عند رؤياك، لم تعد تطالعك بنفس البشاشة التى كانت تطالعك بها كلما هل قدومك عليها الآن !! فانزويت فى ركنك المعتم تقبع فيه وحدك، بعد ما انحصرت الأضواء عنك، وانسحبت بكل تاريخك القديم تحيا مع ذكرياتك الغاربة !! وتستعيد من هذا الماضي التليد مجلسك الصاخب على مقهى الفردوس بوسط البلد ؛ حيث كان يمتلئ بالصحبة والخلان، ويطوف من حولك أصحاب المصالح والمنتفعون !! وأنت لا ترد طالباً قصد بابك خائباً !!

تشد أنفاس الشيشة في ضجر، وتسخر من هذا الزمن الذى جعلك تنزوي فى ركنك المعتم وحدك لا يسأل

عنـك أحـد !! حتـى الوجـوه القديمـة التـى تعرفهـا، وتعـرف صنيعـك فى الزمـن الجميل ترتسـم عـلى ملامحها الآن التجاهــل، كلـما حطـت نظرتهـا الفراشـية فـوق وجهـك، وتطـير هاربـة مـن نظـرة عينيـك اللائمـة، ومـن انحصـار الأضـواء عنـك !! بعدمـا كسـا الشـيب رأسـك، وهـرم جسـدك الفتـي، فلـم تعـد مطلوبـاً في مهنتـك، بعـد مـا كنـت أنشـط مديـر إنتـاج في الوسـط الفنـي، فألفـت وحدتـك وارتـدت شـكواك مـن زمـن الجحـود في عبـاءة الصمـت الكتـوم، وارتضيـت بالوحـدة مؤنسـاً تحـاور نفسـك عـلى متغـيرات مجتمعـك، وأنـت تطـل عـلى حركـة الحيـاة مـن شرفـة عينـك البائسـة بنظـرات الحسـرة والجمـود، تتعجـب مـن فقـدان المـودة والتراحـم بـين البـشر، بعـد مـا أصبحـت لغـة المصالـح تسـود مجتمعـك !! تتنهـد فى آسـى، ويخـرج زفـيرك المحمـوم مختلطـاً بدخـان شيشـتك، تلقـى بـلاى الشيشـة فى ملـل، وتمـضى مـن وحـدة جلوسـك في انكسـار، تشـيعك تلـك الوجـوه القديمـة فى تجاهـل، وهـى تـرد سـلامك في غمغمـة المجـبر عـلى رد السـلام !!

تمـضى فى خطـوٍ بطـيء فرضـه عليـك هـرم عمـرك، ووهـن جسـدك إلى وحـدة منزلـك القاتلـة !! تنظـر نحـو رنـين هاتفـك الصامـت دائـماً ؛ ترقبـه فى شـغف مـن حـينٍ لآخر، وأنـت جالس فـوق مقعـدك الهـزاز فى شرفـة شـقتك، آمـلاً وراجيـاً الوقـت الكئيـب بـأن يرتفـع رنينـه ويسـأل عنـك أحـد، أو يحـن عليـك

أحد الأبناء الذين أفنيت عمرك فى تعليمهم .. وأوصلتهم إلى أعلى المناصب، تنتظر وتنتظر ويطول انتظارك، وعيناك الساهرتان ترقب هاتفك البارد متمنية أن تدب فيه الحرارة، ويعلو رنينه بمحادثة تدخل السرور على قلبك المعذب .. كي يستريح من لوعة الانتظار .. وكسر حدة الملل التي تغشي روحك .. تترقب وتتمني أن يدفع الوفاء شخصٌ من تلك الوجوه القديمة بالسؤال عنك !! تعبر بك ساعات الليل الكئيبة من ملل إلى أمل أن يآتي الفرج من شخصٍ حنون يسأل عنك !! وتظل تنتظر ويطول انتظارك !! ترفع عينيك البائستين نحو السماء ترجو المولى بألا يطول عليك هذا الانتظار الكئيب، ترقب حركة النجمات السابحات فى الفضاء، وتُمنى لسانك المعقود بالصمت بأنه تنحل عقدته فى محادثة ليلية طويلة مع صوتٍ حبيبٍ دافعه السؤال والمودة، كى يطمئن عليك !! تمضى بك الدقائق إلى ساعات ما بين يأسٍ ورجاء في انتظار تحقيق أمنيتك وأنت مازلت في مجلسك، لا يعلو غير أزيز مقعدك الهزاز في ملل وكآبة، ويتعانق مع صوت دقات ساعاتك المصلوبة على الجداران في صالة الشقة، تحسب لك المدة المتبقية في عمرك، تزفر في ألم هل من مجيب !! هل من حبيب يخرجني من تلك الوحدة القاسية التي تغلف حياتي؛ وتغسل قلبى العليل من سقمه !! ينسحق أملك الممدود على سندال يأسك،

من هذا الجحود الذي عاملوك به كل الذين يعرفونك بعد أن انحسرت الأضواء عنك، يسري الوهن في أوصالك فتغفل، ويسقط رأسك على صدرك، وتأخذ أنفاسك في الخفوت رويداً رويداً ؛ حتى جحظت عيناك تلعنان هذا الجحود الذي واجهته في آخر أيامك، وتتدلى يداك الباردتان تعلن للعالم انسحابك من تلك الحياة الموحشة، ومن هذا الصمت الكئيب الذي لم يسأل فيه عنك أحد !!

القاهرة فى ٢٦ - ١٠ - ٢٠٠٦